

ملّح ونوادر من كتاب
المختار في كشف الأسرار وهتك الأسرار
لعبد الرحيم بن عمر الجوبري
(توفي بعد 633 هـ / 1236 م)

زين الدين عبد الرحيم بن عمر الشافعي الجوبري الدمشقي ، نسبته إلى قرية جَوْبَر شرقي دمشق . لا يُعرف تاريخ ولادته ولا وفاته ، ولا تفيد المصادر العربية عن سيرة حياته أي شيء ، فمعلوماتنا الوحيدة عنه هي المستقاة من مؤلفاته القليلة . ومن ذلك يتّضح لنا أن الجوبري عالم مؤلّف درس دراسة مستفيضة ، وعاش عيشة العالم المتجول في جميع بلاد الإسلام حتى بلغ الهند ، وسافر كثيراً في النصف الأول من القرن السابع الهجري ، فقد زار مصر كما يذكر في كتابه مرات عدّة عام 607 هـ وعام 617 هـ وعام 623 هـ و 626 هـ ، كما زار آمد وأنطاكية ثم حرّان عام 613 هـ ، والرّها عام 616 هـ ، وساحل جدّة والحجاز واليمن والصعيد وعيذاب ، وجال في المغرب وتونس وكذلك الهند وهندبار .

وفي عام 629 هـ ، قصد الجوبري بلاط الملك الأرتقي مسعود بن مودود صاحب آمد وحصن كيفا الذي ولي الحكم عام 618 هـ أو 619 هـ ، وأقام لديه مدّة فكان يتردّد على مجلسه . وذكر أن الملك المسعود طلب إليه تأليف كتاب له عن أسرار أرباب الصنائع والعلوم ، على غرار كتاب ابن شهيد المغربي المشتهر آنذاك : «كشف الدك وإيضاح الشك» ، فقام بوضع كتابه المعروف بكتاب «المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار» على ثلاثين فصلاً ، سجّل فيه ما خبر من تدليس وحيل من صادفهم في رحلاته من الرّحّالين والدجّالين وأصحاب الكيمياء والصيارفة ؛ فكان هذا الكتاب بحق كنزاً لمن يرغب بدراسة عادات أهل ذلك العصر ، كما يرى المستشرق بروكلمان .

وكان البغدادي في كتابه «هدية العارفين إلى أسماء المؤلفين» قد ذكر أن الجوبري فرغ من تأليف كتابه عام 663 هـ ، وهذا وهم على اعتبار أن زيارة المؤلف لبلاط الملك المسعود كانت عام 629 هـ ، وفي نفس ذلك التاريخ طلب إليه تصنيف الكتاب ، فلا يستقيم أن يكون أمضى في تأليفه 34 عاماً . ومن الواضح بالتالي أن التاريخ المذكور قد ورد بنتيجة غلط من النسخ أو الطباعة ، ولا ريب أن البغدادي يريد أن الكتاب قد تم تأليفه عام 633 هـ . وهذه فائدة جديدة ، وآخر ما يُعرف من تاريخ حياة المؤلف ، أما تحديد وفاته فيبقى في ضمير الغيب .

ظهرت أول طبعة للكتاب في دمشق عام 1302 هـ ، وأعقبها طبعة أخرى في إسطنبول دون ذكر لتاريخ الطبع ، ثم أعيد طبعه في القاهرة مرتين أولاً عام 1316 هـ والثانية مُغفلة التاريخ (حوالي 1908 م) . وله من المؤلفات أيضاً : «الصراط المستقيم في علم التنجيم» و «كشف أسرار المحتالين ونواميس الخياليين» .

قمنا بنقل بعض النصوص المتعلقة بدمشق من كتاب المختار ، بالاعتماد على طبعة دمشق وطبعة القاهرة الأولى ، ولهذه النصوص أهمية خاصة لأن مؤلفها ذكر فيها بعض مشاهداته الشخصية بدمشق آنذاك ووقائع مما لا نجد له مثيلاً لدى مؤرخي ذلك العصر ، ومنها الحكاية الطريفة التي جرت للسلطان نور الدين مع العجمي ، التي انفرد الجوبري بذكرها دون غيره من المؤرخين .

وقُصارى القول ، أن هذا الكتاب يبقى واحداً من أطرف وأثمن مصادر تراثنا في التاريخ الاجتماعي ، وهو ما زال ينتظر حفظه للظهور في طبعة علمية مستوفية لشروط النشر والتحقيق العلمي .

المصادر :

- كتاب المختار للجوبري ، مقدمة المؤلف .
- دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، مادة الجوبري لبروكلمان .
- هدية العارفين للبغدادي 1 : 524 .



كتاب المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار - طبعة دمشق ، 1302 هـ



كتاب المختار في كشف الأسرار وهتك الأسرار - طبعة القاهرة ، 1316 هـ

من فصل كشف أسرار الذين يدعون المشيخة

وقد ظهر بدمشق رجل يُقال له المقصود فادّعى المشيخة ، وكان يُظهر الثمار في أوقات لا يمكن أن توجد فيها . فلما استفحل أمره ادّعى النبوة وأنه عيسى ابن مريم ، فربط جماعة من كبار البلد ومن جملتهم أهل سوق المرحّلين وأهل المزة وكفرسوسة وغيرهم . فلما كثر الرّهج فيه سكن في موضع يُعرف بالصّفاف ، وذلك في دولة الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وذلك مشهور بدمشق .

(المختار في كشف الأسرار ، 24)

وقد كان ظهر بدمشق رجل يعرف بالشيخ علي ، وسكن أرض حوران وادّعى المشيخة وتبعه خلق كثير . وكان أصل مذهبه أنه يقول لمن يريد أن يتلمذ له : لا تمنع النفس شيئاً من حظّها ، فمهما طلبت نفسك فهو حقّها فأبلغها ذلك ! وله أحاديث عجيبة . وهذا الرجل ظفر به السلطان الأشرف وحبسه في حصن عرقا ، فأقام حتى مات السلطان . والأمر يطول شرحها .

(المختار في كشف الأسرار ، 30)

من فصل كشف أسرار الرهبان

ومن ذلك أيضاً الكنيسة التي بصيدنايا⁽¹⁾ ، وهي قرية من عمل دمشق ، ولها يوم تجتمع الناس فيه ، ولهم فيها بركة الزيت يؤخذ منها في ذلك اليوم شيء عظيم للبركة . وقد ارتبط عليها جميع الطوائف ، وذلك أنهم أخذوا قرمة نخلة ، ثم نزلوا عليها بالمدقات حتى صارت مثل السفنج ، ثم غشّوا عليها بثوب شعر مثل المنخل ، ثم وضعوها في ذلك الموضع .

(1) بلدة مشهورة في هضبة القلمون شمال شرق دمشق ، بها أديرة أثرية مشتهرة .

فإذا جاء العيد الذي لها سقوا تلك القرمة بالزيت ، ثم ثقلوها بشيء يوازن بروز ذلك ، فتبقى ذلك اليوم ترشح طول النهار . والناس يأخذونه للبركة وإزالة الأمراض ، فصار لها ذكرٌ وشأن .

(المختار في كشف الأسرار ، 40)

من فصل كشف أسرار أهل الكاف وهي الكيمياء

ومن أعجب ما صادفته وأغرب ما وقفتُ عليه ، أنه كان لي بدمشق صديق نصراني صائغ يُعرف بابن ميسرة . وبينما هو في بعض الأيام جالس في الدكان إذ قد أتى إليه رجل متميِّز فسَلَّم عليه ، ثم ناوله سبيكة فضة مقدار ثلثماية درهم ، وقال : لعلّ منادياً يبيع لي هذه السبيكة . فأخذها منه وقال : يا سيدي على الحمى ؟ قال : نعم ، وعلى الرُّوباص . وأعطاها للمنادي ، فنادى عليها وباعها المائة بمائة وعشرين . هذا وقد أصدده إلى الدكان وأجلسه في جانبه ، فلما قبض الثمن دفع للمنادي أجرة وافرة ، ثم شال خمسة دراهم ، وقال للصائغ : سيرّ لنا بعض أجراك يشتري لنا بهذه شيئاً نأكله بحسب المماحة ، والحرام يلزمني لا بدّ من ذلك . فبعث واشترى شيئاً من المأكول فأكلوا وتحدّثوا ساعة ، ثم نزل وقد جعل تحت نطع الصايغ عشرة دراهم .

وغاب أياماً ، ثم عاد وسَلَّم وصعد وقد فرح به الصائغ ، فتحدّثوا ، ثم طالع سبيكة أكبر من الأولى ، فقال : ادفعها للمنادي ، فدفعها له فبيعت المائة مائة وخمسة وعشرين . فقال للصائغ : إن كنتَ تحتاجها فخذها وزناً بوزن فأخذها منه . ثم عمل مثل المرّة الأولى ، فمنعه من ذلك ، فقال : يا فلان لأيّ سبب تفرّط بهذه الفضة ؟ فقال له : يا هذا ، هذه السبيكة تكلف عليّ المائة درهم ونصف ، فما عسى أن يروح منها ؟ . فلما سمع الصائغ ذلك عَظُم في عينيه .

ثم غاب أياماً وأتى ولم يصطحب معه سبيكة ، فسلم وصعد فتحدثوا .
وكلّما عبر شيء مثل حلاوة أو غيرها يشتري ويدفع القيمة للبائع كما يطلب ،
ويأكل هو ومن في الدكان . فأقام يتردد أياماً ولم يصحب معه شيئاً من السبائك ،
فسأله الصائغ ، فقال : والله كنت قد عملتُ إكسيراً وفرغ . . فلما سمع الصائغ
ارتبط ، ثم تحدّث معه ساعة ، وقال : أشتهي منك أن تجرب قلبي وتأكل عندي
خبزاً وملحاً في داري . فقال : ما أكلّك ! فأقسم عليه ، فقال : إذا كان ولا بدّ
من ذلك فهذه عشرون درهماً اعمل لنا بها شيئاً نأكل ، والحرام يلزمني لا بدّ من
ذلك . ثم تواعدوا إلى الغد .

فلما كان الغد جاء الرجل إلى الدكان فوجد ابن الصائغ قاعداً في الانتظار ،
فأخذه وراح به إلى الدار ، ولما استقر به الجلوس قدّم شيئاً كثيراً فأكلوا ثم أحضروا
حلّوا وأكلوا . فقال الصائغ : يا سيّدي أما تعمل إكسيراً ؟ فقال : يا أخي عندي
نفقة كثيرة وما أنا محتاج إلى عمله في هذا الوقت ، وليس لي في هذه البلدة مكان
ولا صاحب ، وأنا وحدي ما أقدر أدبر هذا .

فقال له الصائغ : هذه القاعة هي ملكي ومالي فيها نساء ولا حريم ، وإنما
هي برسم صديق أو ضيف يأتيني ، وأنا أخليها لك وأساعدك وأخدمك ، وابني
يكون في الدكان ، وما تحتاج أحضره لك . فقال : أكثر ما أريد عشرة دراهم
أعملها إكسيراً ، ومتى صار يُعمل منه قناطير ، إلّا أنه يريد تعباً وطول روح ، وأنا
اليوم مالي همّة للعمل لأن عندي شيئاً أنفقه سنة وعشرة . ثم تمنّع عليه وهو
يسأله ، ثم مسكه تلك الليلة عنده وتمكّن منه بالحديث ولم يزل يلحّ عليه حتى
تقرّر بينهم الأمر . ثم تحالفوا على وفاء العهد وأن الصائغ يقنع من الإكسیر بأيسر
ما يكون والباقي له ، فقال له : بل أنا أقنع منه بمثقال وخُذ أنت الباقي . ففرح
الصائغ ، وحسب أنه يتعلّم الإكسیر .

ثم اتفقوا إلى يوم واجتمعوا ، واشتروا الحوايج ووزن الرجل ثمنها ، ولم
يخلّ الصائغ يخسر شيئاً . فلما حصلت الحوائج وسحقوا ما أمكن سحقه وهبوا

حوائجهم ، قال الرجل للصائع : تريد أن تعمل إكسير ذهب أو فضة ؟ فقال : من ذا شيئاً ومن ذا شيئاً ، فقال : اقسم هذه الحوائج نصفين ثم هات ما أمكن من الذهب والفضة حتى ننقعها في ماء هذه الحوائج ثلاثة أيام ، ثم نأخذ ماءها ونسقي به الأدوية ، الذهب للذهب والفضة للفضة .

فعمد الصائع إلى ستمائة دينار فدفعها له ، فربطها في منديل أمامه ثم جعلها في وعاء فيه ماء ، ثم قال : هات فضة . فأحضر له ألفين وخمسمائة درهم ففعل بها كما فعل بالذهب . ثم أقاموا سبعة أيام يخدمون تلك الحوائج . ثم بعد ذلك قال له : قُمْ واطلع إلى جبل المزة واجمع من الحصى الذي يُعرف بِبُزاق القمر مقدار رطل واحد وتعال . فقام الصائع وصعد إلى الجبل ينقي بُزاق القمر قدر حاجته . وأما ذلك الرجل فإنه فتح صرة الذهب والفضة وأخذهم ، ووضع مكانهم فلوساً وقعد . فلما جاء الصائع بالبزاق قال : هذا يريد يتكلّس في أتون الرُجاج ليلة ، ثم يُخدم نصفه بماء الذهب ونصفه بماء الفضة ، وإذا تكلّس اقسمه واخدمه ، وها أنا خارج لصلاة الجمعة . ومضى واستقبل الدرب ، فلم يطلع له خبر .

فأقام الصائع ينتظره مدة ثلاثة أيام لم يفتح صرة الذهب ولا الفضة ، فقال له ابنه : قد يكون أخذ الذهب وراح ! فقال : ما أجهلك . . وحقّ المسيح يقدر أن يعمل خزائن وأموالاً ، وهذا غير محتاج إلى ذهبنا . فقال له ابنه : كُنْ عاقلاً وافتقد الذهب . فقال : أنت قصدك تفسد علينا الشغل ؟ فقال : افتقد الذهب وخَلَّ عنك الطمع . فلم يفعل ، فقام ابنه وخالفه وفتح الصرة وقد قارنت له ولأبيه النحوس ، وإذا بالذهب والفضة قد صار فلوساً ! . . فَلَطَمًا على الرؤوس حتى ذهبتهما النفوس . فقال : أنت ما سمعت مني الخبر .

فأبصر هذا الدَّهَاء والمكر والحيل لهذه الطائفة .

(المختار في كشف الأسرار ، 64-68)

[حكاية العجمي والسلطان نور الدين]

ومن أعظم ما وقفتُ عليه ، وأظرف ما جرى للسلطان الملك العادل نور الدين بن زنكي ، رحمه الله تعالى ، حديثٌ يُكتب بماء الذهب ⁽¹⁾ .

وذلك أن بعض العجم جاء إلى دمشق ، فأخذ ألف دينار مصرية فَبَرَدَهَا ، ثم أخذ لها دقّ الفحم وعقاقير وطحن الجميع ثم عجنه بغراء السَّمَك ، وجعله بنادق وجقّفه جفافاً بالغاً . ثم لبس دلقاً وتزيّاً بزيّ الفقراء ، وجعل تلك البنادق في مخلاة . ثم أتى إلى بعض العطارين فقال : تشتري مني هذا ؟ فقال : وأيّ شيء هذا ؟ قال : طَبْرَمَك خُرَاساني ! وهذه كلمة مصحفة معناها طترمك ، قال العطار : وهذا لأيّ شيء ينفع ؟ قال : ينفع من السُّموم ، ويدخل في جميع الأدوية التي تدفع الأخلاط ، وله نفع عظيم . ولولا أن أدركتني الحاجة ولم أقدر على حمله ما بعته ، لأنه يساوي وزناً بوزن عند من يعرفه ! فقال العطار : بكم هو ؟ قال : بعشرة دراهم . قال له العطار : بثلاثة . فأبى ، ثم اشتراه منه بخمسة دراهم ، وجعله في برنية . وأخذ العجمي الدراهم وراح .

فانظر إلى هذا الرجل وما أجسره ، باع ألف دينار بخمسة دراهم ، فهذه جسارة عظيمة ، وقد قال القائل : من خاطر بنفيس ملك نفيساً .

فلما انفصل عنه ، لبس بزة حسنة من ملابس الوزراء ، ورتّب خلفه مملوكاً ونزل أكبر دار تصلح لوزير ، وصار يمشي في الجامع ويتعرّف بالأكابر من أهل البلد ، ويعمل السماعات ويخسر جملةً ، ويدّعي الوصول في علم الصنعة وأنه يقدر أن يعمل في يوم واحد جملة من المال . وشاع ذلك في دمشق ، فسأله الكبراء أن يعمل عندهم ، فكان يقول : ما أنا محتاج إلى أحد ، فالذي يريدني أعمل عنده أي شيء حاجتي إليه ؟ وأنا قد آليتُ أن لا أعمل شيئاً إلاّ للملك ، ومع هذا فإنني لا أعمل شيئاً حتى يحلف لي أن مهما عملته لا يُنفقه إلاّ في سبيل الله .

(1) حقاً فهذه القصة من أعجب وأطرف ما يكون ، ولعمري أنها تصلح لتمثيلية تلفزيونية :

فاتّصل خبره بالوزير ، فأحضره وأنسه ، ثم ذاكره بشيء من ذلك ، فقال :
قد كان من أمري أنني حلفتُ أن لا أعمل شيئاً إلا للملك ، بعد أن يعاهدني أنه لا
ينفق منه شيئاً إلا في سبيل الله تعالى . فإن حصل هذا الشرط عملتُ وإلا فلا
سبيل إلى عمل شيء .

ولما سمع الوزير ذلك افتكر وقال : والله هذه سعادة للمسلمين وللسلطان ،
هذه البلاد كلها للأفرنج إلى بانياس ، وكل يوم الغارات تصل إلى ديارنا ، فإذا
عمل شيئاً نفتح به هذه البلاد وهذه نعمة عظيمة ! ثم قال : أعرّف السلطان ؟
قال : نعم ، إلا أنك تجمع بيني وبينه حتى أستوثق منه باليمين . ثم ركب الوزير
فاختلى بالسلطان ، ثم عرفه ذلك ، فقال : والله قد هجس في فكري أنه لا بدّ من
شيء يوصلنا إلى قلع شأن هؤلاء الملاحين . فأحضر الرجل في غاية الكرامة .

فأخذ له خلعة حسنة وبغلة بسرج ملجمة ، فألبسه الخلعة وأركبه إلى
جانبه ، ثم صعد واجتمع به السلطان . ثم تحدّثا فقال : أصحيح ما قاله الوزير
عنك ؟ قال : نعم يا مولانا ، لكن كل من ادّعى هذه الدرجة فهو كذاب نصّاب
دكّاك ، بل أنا شرطي مع السلطان أن لا أمسّ بيدي شيئاً ، بل أكون بعيداً من
مولانا وأقول له : افعل كذا واصنع كذا ، ومولانا يفعل . فلما تقرّر الأمر على
هذه القاعدة قال السلطان : باسم الله اشرع على بركة الله .

فأخذ العجمي ورقة وكتب لهم استدعاء الحوائج ، من العقار الفلاني كذا
[ومن العقار الفلاني كذا] ، ثم قال : من الطَّبْرَمَك الحُرَّاساني مائة مثقال . ثم
دفع الورقة لأستاذ الدار ، وقال له : أحضر هذه الحوائج . فأحضر الجميع إلا
الطَّبْرَمَك ، فقال إنّه ما وُجد عند العطّارين . فقال العجمي : في مثل دمشق يعدم
الطَّبْرَمَك ؟ فقال السلطان : ما لنا شيء يُغني عنه ؟ فقال : لا والله ، ولا تخلو
دمشق منه . بل إن مولانا السلطان يتقدّم إلى المحتسب بتفتيش دكاكين العطّارين ،
فإذا كان الغدر كبت أنا وهو وشهود عدول نفتح حانوتاً حانوتاً نفتشه ، فلا بدّ أن
نجدّه . فقال : نعم .

وكان المحتسب يُقال له القائد ، فأرسلوا إليه ففعل ذلك ، وركب العجمي من الغد وأخذ معه العُدول ونزلوا مع القائد ، ثم جعلوا يفتحون دكاكين العطّارين حتى انتهوا إلى دكان الذي باعه العجمي الطّبرمك . ففعد الشهود والمحتسب ، ونزل صاحب الدكان وجعل يضع قدامهم برنية بعد برنية ، إلى أن جاءت البرنية التي فيها الدكة . فلما رآها العجمي تهلّل وجهه فرحاً وقال : هذا السلطان سعيد ! ثم قال للشهود والمحتسب : اختموا عليها بختمكم ثم ابعثوا بها إلى القلعة . ففعلوا ذلك .

فقال لصاحب الدكان : من أين لك هذه ؟ فقال : ابتعتها من رجل فقير . قال : بكم ؟ قال : بخمسة دراهم . فأخذ منديله وقال : هذه عشرة دراهم عندي ، ولا تبطل شغلك ولا تطلع إلى الديوان .

ثم ركبوا جميعهم ، وطلعوا إلى القلعة وعرفوا السلطان . وقال له العجمي : هذه أول سعادتك ، هذا يعمل شيئاً كثيراً ، فيشرع مولانا من الليلة وبالله التوفيق .

فلما أُمسى عليهم المساء ، استدعوا ما يحتاجون إليه من الآلة ، ثم قعد السلطان وخادم في صُفة والعجمي قد اعتزل عنهم في ناحية . ثم قال : يزن مولانا من العقار الفلاني كذا ومن الآخر كذا ، وجعل يعدّ العقاقير جميعها ، ثم قال : ومن الطّبرمك مائة مثقال . ففعل ذلك حتى احترقت جميع تلك الحوايج ودار الذّهب . ثم قال : اقلب على بركة الله تعالى ! فقلب البودقة ، فنزلت سبيكة ذهب مصري لا يكون شيء أحسن منه . فلما نظر السلطان إلى ذلك حار ودُهِش ، ثم قدّم له تلك الليلة شيئاً يساوي ألف دينار .

ولم يزالوا يعملون حتى فرغ ذلك الطّبرمك ، فطلبوه فلم يجدوه . فقال السلطان : كيف نعمل بالطّبرمك ؟ فقال العجمي : نبعث نجيب منه من خراسان ، فإنه معدن في الجبل في مغارة إذا أراد إنسان أن يحمل منه ألف حمل جمل . وأنا دخلتُ إليها وأخذتُ منها شيئاً كثيراً ، وعندني في داري منه مقدار قططار .

فلما سمع السلطان قوله قال : ما لهذا الأمر غيرك ، فإن تعذر الوصول إلى المغارة فاحمل الذي عندك ، وإن وصلت إلى المغارة فاحمل مهما قدرت . وأنا أكتب معك كتاباً إلى السلطان الأعظم لا يمنعك أحد من ذلك !

فلما سمع العجمي قال : إن رأى السلطان أن يبعث غيري ، فأنا قد طابت لي دمشق وخدمة السلطان . قال : لا غنا عن رواحك ، فإن لك في ذلك أعظم الأجر . ولم يزل عليه حتى أنعم بالسفر ، فلما شرع يتجهّز جهّزه بستين حمل منها شُرْب عمل تينس ودمياط ومن عمل اسكندرية ، ومنها سُكَّر بالأحمال والجمال والجمالين ، ثم أعطاه خيمة ومطبخاً وفرّاشين ونفقة الطريق إلى بغداد وإلى العجم ، وكتب معه كتاباً إلى سائر البلاد بالمراعاة والخدمة والإعانة . ثم خرج السلطان وأرباب الدولة إلى وداعه ، وراح وقد وصل هذا إلى الحجر المكرّم وحصل له الإكسير الأعظم .

ومن أعجب ما في هذه القضية أنه كان بدمشق رجل يكتب أسماء المغفلين المخارفين ، فسمع بهذه القضية ، فكتب في رأس جريدته : «السلطان نور الدين محمود بن زنكي رأس المغفلين» . فشاع ذلك ولم يعلم أحد باطن القضية ، حتى قيل للسلطان : قد كتبك شخص رأس المغفلين ، فقال : وأي شيء أبصر من تغفلي حتى يكتب اسمي ؟ هاتوه ! فنزلت إليه الجندارية وقالوا له : باسم الله ، كلّم السلطان . فأخذ الجريدة في كمّه ومشى معهم .

فلما وقف أمام السلطان ، قال : أنت فلان الذي تكتب أسماء المغفلين ؟ قال : نعم . قال : وكتبتي ؟ قال : نعم ، وهذا اسمك . ثم أظهره . فقال : وما بان لك من تغفلي حتى كتبتني ؟ فقال : ومن يكون أغفل منك ؟ جاءك عجمي نصّاب عمل عليك حيلة ودكّ عليك ألف دينار ، أخذ بها مال المسلمين وراح ! فقال : راح يأتي بطبرمك وكأنك به وقد جاء ومعه الطبرمك نعمل منه أموالاً لا تُحصى . فقال له : يا خوند إن رجع العجمي وجاء ، محيتُ اسمك من الجريدة وكتبْتُ اسمه ، وما يكون في الأرض أغفل منه !

فلما سمع السلطان ذلك ، ضحك وقال : «اعطوه شيئاً يُنفقه عليه» .
فأعطوه شيئاً وراح . وكان كلما أفلس ، أخذ الجريدة ووقف على باب القلعة ،
فإذا ركب السلطان ، فتح الجريدة ويقول : «ما جاء ، وهذا اسم السلطان
مكتوب !» . فيضحك ، ويُطلق له شيئاً .

فانظر إلى هذا الدكّ والجسارة على بيع ألف دينار بخمسة دراهم .

فأقام السلطان على ذلك حتى مات ⁽¹⁾ ، والطبرمك لم يأت .

(المختار في كشف الأسرار ، 68-74)

من فصل كشف أسرار الصيارف والدكّ عليهم

ومنهم من يدكّ على الصيارف ، فاعلم أن هؤلاء لم يكن في الطوائف
أرجل منهم ، وذلك أنهم يدكّون على من هم أشطر الطوائف . فإن الصيارف
يتعيّشون على كل الناس وهؤلاء يتعيّشون عليهم ، فهذه عين الشطارة .

وقد رأيتُ بدمشق رجلاً من أهل حلب يُعرف بجمال الدين يوسف ابن
النقّاش ، وهو متميّز وعليه حشمة ظاهرة ، ورأيتُه يدكّ على الصيارف . فإذا أراد
ذلك أتى إلى الصيرفي ومعه دينار أو درهم ، فإن كان ديناراً يكون بهُرج ، وإن
كان درهماً يكون نحاساً . ثم إنه يكون معه إما دينار أو درهم جيّد على قدر ما
يريد أن يدكّ ، ويكون على نقد ذلك الزغل الذي معه .

فيقف على الصيرفي ويدفع إليه الدينار الجيّد ، ويقول : إُدفع لي بهذا
دراهم . فيأخذ الصيرفي الدينار ثم ينقده ، ويزنه ويدفع إليه الدراهم ، فيقول :

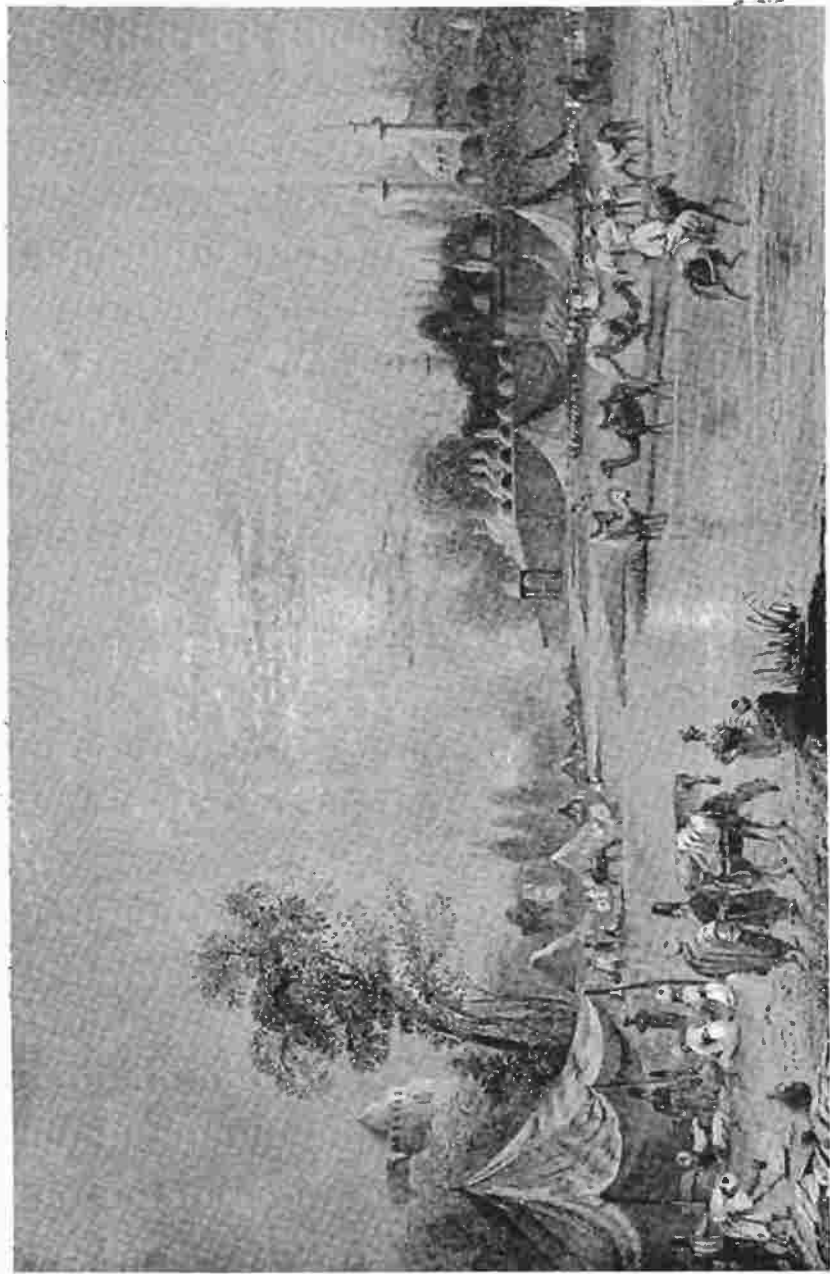
(1) وكانت وفاة السلطان العادل نور الدّين محمود بن زنكي الشّهيد في عام 569 هـ .

كم وزنت ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيقول : ما آخذ إلا كذا وكذا ، فيقول : ما أعطيك إلا هذا القدر ، فيقول : هات الدينار . فيناوله الدينار بمقدار ما يحصل في يده وقد جعله موضع الدينار البهْرُج وخلف له البهْرُج ، وقال : هات ، وهذا ناقص عن حقّي !

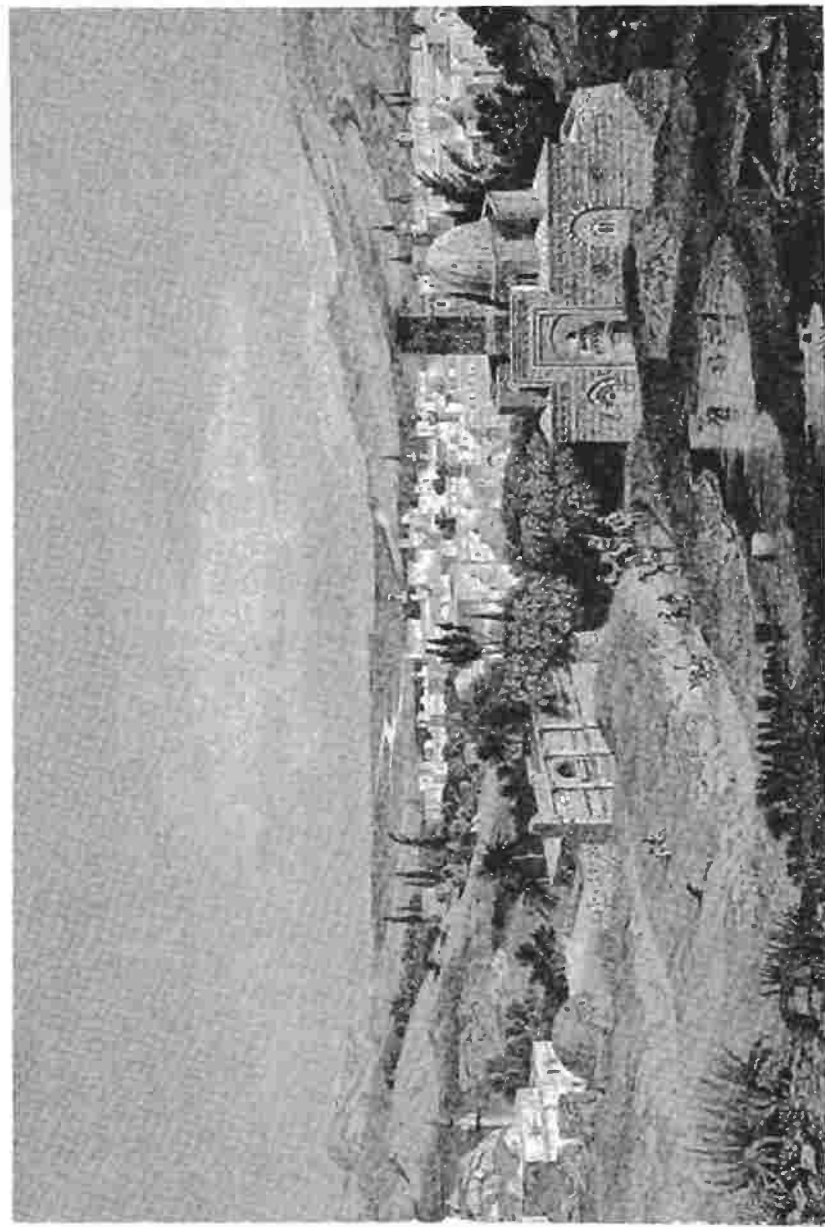
فيكون الصير في قد وزن الدينار ونقده ، فيأخذه ويرميه في صندوقه ويدفع له الدراهم طيب القلب بوزنه ونقده ، وكذلك الدرهم أيضاً .
فافهم ذلك ترشد .

(المختار في كشف الأسرار ، 136-137)

* * * * *



التكية السليمانية ونهر بردى ، مع المدرسة العزّة البرائيّة إلى يسار الصورة



التّيرب الأعلى وقرية العادل كتبغا ، مع دار الحديث الناصرية وجامع الأفرم إلى يسار الصورة